سيميائية العِطْر في كتاب "البديع في وصف الربيع " لأبي الوليد الحميري

د. سعد بن حسن العاطفي

أستاذ الأدب والنقد المساعد بقسم اللغة العربية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة طيبة

(أرسل إلى المجلة بتاريخ 9 /5 /2024م، وقبل للنشر بتاريخ 6 /6 /2024م)

المستخلص:

يحاول هذا البحث أن يكشف ما تتضمنه العطور في المختارات الشعرية في كتاب "البديع في وصف الربيع " لأبي الوليد الحميري من دلالات رمزية وعلامات سيميائية، بوصفه خطابًا حاملًا للعديد من الدلالات التي تتطلب الكشف عنها، واستنطاق ما تبطنه من إشارات غير ظاهرة. مستعينًا بالمنهج السيميائي الذي يستنطق العلامات والرموز للنصوص الأدبية والشعرية. وتعد العطور ظاهرة مميزة في كتاب "البديع في وصف الربيع " بصورة خاصة، والأندلس بصفة عامة، بالإضافة إلى وجود الدلالات الرمزية والعلامات السيميائية الحاملة للعطور في الأشعار الواردة في الكتاب. ويعد الخطاب العطري من أنواع الخطاب المرتبطة بحواس الإنسان، ومنها: حاسة الشم؛ إذ كانت سببًا مهمًا _في الأغلب_ من أسباب الإشارة للعطور عند الشعراء، فمعرفة الشاعر خصائص العطر، وتفاصيله، وربطه بأشعاره أدت إلى وجود هذا الخطاب. وقد خلص البحث إلى أثر العطور في إبداع الشعراء الأندلسيين في كتاب "البديع في وصف الربيع "، وتعدد أنواعها، وتباين الدلالات الرمزية، والعلامات السيميائية للعطور في أشعار الأندلسيين نحو: الراحة، والطمأنينة، والمرأة، والحب، والطرب وغير ذلك. بالإضافة إلى إسهام العطور في جمالية الخطاب الشعري عن طريق الخروج عن المألوف، وانزياحية الصورة الشعرية.

الكلمات المفتاحية: الخطاب، العطور، البديع في وصف الربيع، السيميائية.

The semiotics of perfume in the book Al-Badīʿ fī Waṣf al-Rabīʿ " by Abu Al-Walid Al-Himyari

Dr. Saad Hassan alatifi

Assistant Professor of Literature and Criticism in the Department of Arabic Language, College of Arts and Human Sciences, Taibah University

(Sent to the magazine on 9/5/2024 AD, and accepted for publication on 6/6/2024AD)

Abstract:

This research aimed to shed light on the symbolic meanings and semiotic signs of perfume contained in the poetic selections in the book "Al-Badīʿ fī Waṣf al-Rabīʿ " by Abu Al-Walid Al-Himyari, containing many meanings that require exploration and interrogating the hidden signals it contains. It utilizes a semiotic approach that interrogates the signs and symbols in literary and poetic texts. Perfume is distinctly evident in the poems of the book "Al-Badīʿ fī Waṣf al-Rabīʿ " in particular, and Andalusia in general, in addition to the presence of the leading symbolic connotations and semiotic signs of perfumes in the poems contained in the book. The perfume discourse is associated with human senses, including the sense of smell, which was an important reason – in most cases – that drove many poets to include perfumes in their work. Moreover, poets' knowledge of the characteristics of various perfumes and fragrances, details of the scent, and linking it to their poems allowed them to include such perfume-related descriptions in their poetry. In conclusion, the research highlighted the significant impact of perfumes on the creativity of Andalusian poets, as evident in the poems contained in the book "Al-Badīʿ fī Waṣf al-Rabīʿ ". The poems contained in this book included many references to various types of perfumes creating a variation in the symbolic connotations and the semiotic signs of perfume in Andalusian poems such as: Comfort, tranquillity, woman, love, rapture, and more. Additionally, the presence of perfumes contributed to the aesthetics of poetic discourse through the number of deviations from the norm and the shift of the poetic image.

Keywords: discourse, perfumes, the wonderful description of spring, semiotics

المقدمة:

ينصرف كثير من الباحثين إلى البحث عن العناصر اللغوية التي تشكل الخطاب الأدبي، ويغفلون النظر عن عناصر غير لغوية ذات فاعلية بارزة؛ فهذه العناصر غير اللغوية ذات ترابط قوي مع العناصر اللغوية في الخطاب الأدبي، فهي تتآلف معها، وتنسجم في تفاصيلها؛ لتسهم في تشكيل الخطاب الأدبي.

وتحضر عدد من الحواس في إنتاج الخطاب، كحاسة الشم والبصر واللمس وغيرها. ومن العناصر التي يمكن استكشافها عن طريق حاسة الشم ما يتعلق بالعطور المتفرقة في الخطاب الأدبي؛ إذ تمثل العطور أهمية كبيرة فيه، وتعد لبنة مهمة من لبناته، فهي تحمل دلالات تشي إلى إحالات معينة، وترمز إلى علامات متوارية، يمكن الكشف عنها من خلال المقاربات السيميائية، والبحث في السياقات الثقافية لها، والوقوف على رمزيتها المختلفة في الخطاب الشعري. "ويعد الاتصال غير اللفظي أقدم أشكال الاتصال... ويأخذ الاتصال غير اللفظي مظاهر متعددة كالإشارات والإيماءات، والصياح غير اللغوي، وتعبيرات الوجه وحركات الوجه ". (إسماعيل، 2003، ص67).

فوجود العطر في النص يتضمن عددًا من الإشارات التي تتطلب الإبانة عن مضامينه ودلالاته المبطنة التي لا يصرح بها الأديب، وتستكشف من خلال حاسة الشم، ومقاربتها مع السياقات المختلفة حتى تتجلى العلامة المتوارية. وللعطر أهمية كبرى في حياة الإنسان؛ فهو من العناصر المرغوبة في حياته اليومية، والوسائل التي تبرز شخصية الفرد وأناقته؛ فالعطر يعمل على تحسين الحالة النفسية والمزاجية لدى الشخص؛ إذ تعمل على نظافة الشخص وزينته، ما يسهم في زيادة ثقة المرء بنفسه أثناء اجتماعه بالآخرين، بالإضافة إلى الأثر الكبير لبعض النباتات العطرية في علاج بعض الأمراض، والشفاء منها.

وقد اخترت الأندلس لهذه الدراسة؛ والسبب في ذلك عائد إلى اعتناء الأندلسيين بالزينة، ومنها العطور، وكونها مظهرًا من مظاهر الحياة الاجتماعية، والعناية الشخصية، والترف أيضًا، بالإضافة إلى إحاطة الطبيعة بالأندلس، ووفرة مدنها، ما أدى إلى انعكاسها نفسيًّا وشعريًّا على الأدباء والشعراء، كما أن كثيرًا من الباحثين انصرف إلى دراسة الطبيعة بصورة عامة دون النظر إلى الحواس التي يمكن الاستعانة منها في تشكيل الخطاب العطري كحاسة الشم مثلًا.

إن حاسة الشم لا تقل أهمية وشأنًا عن الحواس الأخرى كالبصر واللمس والسمع، فهي تؤدي عددًا من الوظائف المهمة، وتوظيفها في الخطاب الأدبي والشعري يدل على رمزية وإشارة مرتبطتين بالسياقات الثقافية المختلفة، ولذلك فالحاجة إلى معرفة هذه العلامات السيميائية للعطور ضرورة تثري التحليل الشعري.

وقد حفل كتاب "البديع في وصف الربيع " بالإشارة إلى كثير من الأشعار لشعراء أندلسيين، وتحمل أشعارهم دلالات عطرية يمكن استنطاق ما ترمز إليه من خلال حاسة الشم بدءًا ثم كشف علاماتها من خلال سياقتها المتعددة،

وتعد حاسة الشم من الحواس المهمة كالحاسة البصرية والسمعية التي تتجلى في الخطاب الأدبي، والشعري بخاصة، والتي تنبئ عن كثير من الدلالات، ولذلك فإن من الضرورة معرفة خصائص العطور، واستعمالاته حتى يمكن الإفصاح عن علاماتها السيميائية.

ويعد كتاب "البديع في وصف الربيع " من المختارات الشعرية التي يتجلى فيها ذوق المؤلف في اختياراته، وثمة تساؤل يدعو للتأمل وهو ما سبب اختيار المؤلف لأبيات تحمل في مضامينها معاني عطرية؟، وأيضًا ما سبب اختياره عطورًا معينة في خطابه الشعري؟

ويحاول هذا البحث الربط بين العلامة غير اللغوية (الشم/ العطر) بوصفها أيقونة سيميائية وبين الخطاب المكتوب (الشعر)، ومحاولة معرفة مدى أثر العطور سواء أكان مصدرها نباتيًّا أم حيوانيًّا في إحساس وذائقة الأندلسيين، والكشف عن علامات ورموز العطور التي تعد مظهرًا من مظاهر الزينة لدى الأندلسيين في الخطاب الشعري.

ويحاول البحث الإجابة عن السؤال: ما أثر العطور في الخطاب الشعري في الأندلس؟، وهل للعطور المشار إليها في الخطاب

الشعري علامات أو رموز لم يفصح عنها المبدع؟.

ومن المفترض أن الأديب حين إبداعه الخطاب العطري أن يكون ذا دراية ومعرفة بالعطر المشار إليه، وأثره سواء إيجابًا أم سلبًا في نفسيته ومزاجه.

وأود أن ألفت النظر هنا إلى وجود علاقة بين اللون وسيمياء العطر؛ إذ يعد اللون جزءًا مهمًا من الرمزية للروائح المختلفة فالألوان الحمراء المرتبطة ببعض النباتات ترمز إلى الشوق وقوة الحب والعاطفة الجياشة وما يتعلق بها، ويشير اللون الأخضر إلى العطور العشبية التي تحيل إلى السعادة والأمل والخير وهكذا.

وعلى هذا فليس كل عطر يتضمن علامة سيميائية واحدة خاصة بها؛ إذ يسهم المقام الذي يذكر فيه العطر أيًا كان في تغيير العلامة السيميائية، بالإضافة إلى أثر الغرض الشعري في تشكيل العلامة السيميائية.

وتتجلى أسباب اختيار الموضوع في:

توافر المادة العطرية في كتاب "البديع في وصف الربيع "، وتركيزه عليها، ما يدل على غاية يريد أن يصل إليها المؤلف.

1. تعدد العطور الواردة في الكتاب المدروس، واختلاف روائحها، وتباين أنواعها، وتعدد أصنافها.
2. وجود الدلالات الرمزية، والعلامات السيميائية الحاملة للعطور في الخطاب الشعري..

وأما أهداف الموضوع التي يهدف إلى تحقيقها؛ فتعود إلى:

البحث عن سبب جنوح المؤلف إلى اختيار النصوص الشعرية المتضمنة للعطور، وربط الأسباب بالزينة بصورة عامة في الأندلس.

1. الرغبة في كشف أسماء العطور، والنباتات العطرية بخاصة في كتاب المؤلف.
2. كشف الدلالات الرمزية للعطور، وعلاماتها المختلفة، وربطها بالسياقات المختلفة في الأبيات الواردة.

الدراسات التي تتقارب وتتشاكل مع موضوع الدراسة:

1. التواصل بالروائح والعطور في الخطاب الأدبي مقاربة تداولية لكتاب الثعالبي (من غاب عنه المطرب)، فهد البكر، مجلة علوم اللغات وآدابها، جامعة أم القرى، العدد 24، 1441هـ/2019. وهذا البحث يتناول النصوص الشعرية والنثرية لكتاب "من غاب عنه المطرب " وفق التحليل التداولي الذي يدرس النص أو الخطاب الأدبي في علاقته بالسياق التواصلي
2. العطور والطيوب في الشعر العباسي، إبراهيم الدهون، مجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القصيم، المجلد 14، العدد 3، 1443هـ/2022، وهذا البحث يدرس نماذج منتقاة من نصوص الشعراء العباسيين.
3. الزهريات والنوريات في الشعر الأندلسي في القرنين الرابع والخامس الهجري، عبدالرحمن قاسم، دراسة موضوعاتية، جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية الآداب واللغات، الجزائر، 2021، (رسالة دكتوراه).
4. البديع في وصف الربيع لأبي الوليد الحميري دراسة موضوعية فنية، وفاء إسماعيل، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، المجلد الثاني من العدد الخامس والعشرين، 2009. وهذا الدراسة تناولت قيمة الكتاب الأدبية والنقدية، وإظهار تفوق الأندلسيين في جانب الطبيعة، وإبراز الفن النثري البديعي، ولم تتناول جانب الروائح بصورة عامة. وأما حدود التشابه بين هذه الدراسة ودراستي التي تتعلق بالعطور فمتصلة بإبداع الأندلسيين في جانب الطبيعة، كما أظهرت دراسة الباحثة مجموعة من الأزاهير والنواوير الربيعية فحسب..

وأما الصعوبات التي واجهتني في هذه الدراسة؛ فهي صعوبة التحديد الدقيق لخصائص العطر، ومناسبته للرجل أو المرأة، فالكلام الوارد في الأغلب في المؤلفات الأدبية يشير إلى طيب رائحة النبات العطري، وعدم الإشارة في الوقت نفسه إلى مميزات العطر، وهذه

الإشارات غير الواردة تساعد في معرفة مغزى البحث المتعلق بمعرفة الدلالات السيميائية للعطور.

وقد قسمت هذه الدراسة قسمين، يسبقهما مقدمة يشار فيها إلى أسباب اختيار الموضوع وأهدافه وأبرز الدراسات التي تحدثت عنه، والصعوبات التي واجهت البحث، فتمهيد عن مصطلح العطر والخطاب، وترجمة موجزة عن المؤلف وكتابه، والزينة في الأندلسي، وتعريف موجز بالمنهج السيميائي، فالمبحث الأول الذي تحدثت فيه عن أسماء العطور الواردة في الأشعار في كتاب " البديع في وصف الربيع "، فالمبحث الثاني الذي أشرت فيه إلى الدلالات الرمزية للعطور في الكتاب المدروس، فالخاتمة التي أشير فيها إلى أبرز نتائج الدراسة وتوصياتها.

وسأستعين في هذه الدراسة بالمنهج السيميائي الذي يدرس "أنظمة العلامات: اللغات وأنظمة الإشارات والتعليمات وغيرها ". (جيرو، 1984، ص5). مع ما تحتمه بعض أجزاء البحث من تبيين لجماليات النصوص المرتبطة بجانب العطور.

التمهيد:

1_ مفهوم العطور:

يعرف العطر لغة بأنه: "اسْمٌ جَامِعٌ للطِّيب، وَالْجَمْعُ عُطورٌ. وَالْعَطَّارُ: بائعُه، وحِرْفَتُه العِطَارةُ. وَرَجُلٌ عاطرٌ وعَطِرٌ ومِعْطِير ومِعْطارٌ وامرأَة عَطِرةٌ ومِعْطيرٌ ومُعَطَّرة: يَتَعَهَّدَانِ أَنفُسهما بِالطِّيبِ ويُكْثِران مِنْهُ، فإِذا كَانَ ذَلِكَ مِنْ عادتِها، فَهِيَ مِعْطار ومِعْطارة ". (ابن منظور، 1995، مادة: عطر).

ويعرف العطر اصطلاحًا بأنه: "الشذى الناتج من الزيوت العطرية للنباتات، ومن العطور التخليقية قديم الاستعمال، والعطور الحديثة هي في العادة توليفة من الروائح الطبيعية والتخليقية مع مثبتات تزيدها حراقة وتساوي من تطاير مكوناتها ". (مجموعة من المؤلفين، 2010، ص2255).

ومن خلال التعريفين المذكورين لا أجد اختلافًا بين التعريف اللغوي والاصطلاحي للعطر عدا التفصيل الذي نجده في التعريف الاصطلاحي، وتبيين طرق الحصول على العطر، وبيان شيء من خصائصه.

2_ التعريف بالمؤلف:

هو إسماعيل بن محمد بن عامر بن حبيب أبو الوليد الوزير الكاتب بإشبيلية له ولأبيه قدم في الأدب والرياسة وله شعر كثير يقوله بفضل أدبه، وقد جمع كتابًا في فصل الربيع، توفي مغتبطًا قريبًا من سنة أربعين وأربعمائة وهو ابن اثنتين وعشرين. (الحميدي، 1989).

3_ التعريف بالكتاب:

يعد كتاب "البديع في وصف الربيع " من المختارات الشعرية والنثرية التي يتجلى فيها ذوق المؤلف لعدد من الشعراء الأندلسيين. وللاستزادة حول تقسيم أبي الوليد لكتابه؛ (إسماعيل، 2009)..

ويشير الحميري (1987) إلى سبب تأليفه كتابه، وهي الموضوعات التي لم تعن بالتأليف في عصره نحو: موضوع الأشعار التي قيلت في الطبيعة...وكان حريصًا في الوقت ذاته على إيراد ما قاله المؤلف والأندلسيون بصورة خاصة مبينًا السبب في ذلك إلى عدم شهرتها بالإضافة إلى طرافة أوصافهم، وبراعة تصويرهم، فيقول:

إن أحق الأشياء بالتأليف، وأولاها بالتصنيف ما غفل عنه المؤلفون، ولم يعن به المصنفون مما تأنس النفوس إليه، وتلقاه بالحرص عليه. وفصل الربيع آرج وأبهج، وآنس وأنفس، وأبدع وأرفع من أن أحد حسن ذاته أو أعد بديع صفاته... لما رأيت ذلك جمعت هذا الكتاب مضمنًا ذلك الباب، ولست أودعه إلا ما أذكره لأهل الأندلس خاصة في هذا المعنى؛ إذ أوصافهم لم تتكرر على الأسماع، ولا كثر امتزاجها بالطباع. (ص1).

4_ الزينة في الأندلس:

تعد العطور أيًا كانت من أنواع الزينة، ولوازم الاعتناء بالنفس، والاهتمام بها؛ فهي من العناصر التي تبين مدى حرص الشخص على أناقته ونظافته.

وكان الأندلسيون شديدي الحرص على النظافة، فقد أشار المقري (1997) إلى ذلك بقوله:

وأهل الأندلس أشدُّ خلق الله اعتناءً بنظافة ما يلبسون وما يفرشون، وغير ذلك ممَّا يتعلَّق بهم، وفيهم مَنْ لا يكون عنده إلَّا ما يقوته يومَهُ، فيطويه صائمًا ويبتاع صابونًا يغسل به ثيابه، ولا يظهر فيها ساعةً على حالةٍ تنبو العين عنها. (23/1).

وقد اعتنى الأندلسيون بالعطور، وحرصوا على استعمالها، وأورد المقري (1997) نقلًا عن أبي عبيد البكري: "الأندلس شاميةٌ في طيبها وهوائها، يمانيةٌ في اعتدالها واستوائها، هنديةٌ في عطرها وذكائها ". (26/1).

ويقول المسعودي مشيرًا إلى تميز الأندلس بوجود بعض أنواع العطور فيها فحسب: "أصول الطيب خمسة أصناف: المسك، والكافور، والعود، والعنبر، والزعفران، وكلها من أرض الهند، إلاّ الزعفران والعنبر، فإنهما موجودان في أرض الأندلس، ويوجد العنبر في أرض الشّحر ". (المقري، 1997، 99/1).

وقد أنشأ الخليفة عبدالرحمن الناصر في قرطبة حديقة نباتية فيها أنواع النباتات العطرية والطبية (المقري، 1997).

وكانت أنواع الرياحين تنتشر في غرناطة (القزويني، د.ت). وقيل عن أشبونة: "هي مدينة بالأندلس أيضا يقال لها لشبونة، وهي متصلة بشنترين قريبة من البحر المحيط يوجد على ساحلها العنبر الفائق ". (الحموي، 1995، 195/1). ويبدو أن باب العطارين في قرطبة مكان لبيع العطور فيها (المقري، 1997).

وأما أهمية العطور من حيث التواصل، فللعطور والروائح بشكل عام إسهام كبير في عملية التواصل... كما أن هنالك عطورًا مختلفة، ومقامات متنوعة، فهناك عطور طاردة، وعطور جاذبة، وعطور خاصة، وعطور عامة، وعطور للتنظيف وللمناسبات وغير ذلك. (البكر، 2019).

وتحظى العطور والطيوب بوصفها بعدًا سيميائيًا بتوافر الإيحاءات، والصور الشعرية ذات الدلالات المتعددة. (الدهون، 2022).

وتدل النصوص المذكورة دلالة غير خافية على توافر المادة العطرية في الأندلس، وعناية أهلها، وحرصهم على استخدام العطور في حياتهم بصورها المختلفة، وانعكاس أثر الطبيعة بعامة، والعطور بخاصة على المجتمع الأندلسي، وشعورهم النفسي، والخطاب الأدبي بصوره المختلفة.

وقسم المؤلف كتابه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: في الربيع التي لم يسم فيها نور ولا قصد بوصفها منه نوع:

الفصل الثاني: في القطع التي لم تنفرد بنوار، وإنما اشتملت على نورين.

الفصل الثالث: القطع المنفردة كل قطعة منها بنور على حدة.

وعلى كل حال فقد كانت النزعة الأندلسية عند المؤلف ظاهرة؛ إذ أراد إظهار تميز الأندلسيين، وتفردهم في وصف الطبيعة بشتى صورها وصنوفها، وإبراز إبداعهم أمام من سبقهم من المشارقة، وكشف ذائقتهم الشعرية التي انعكس عليها الولع بالطبيعة وانتشارها في الأندلس.

_ المبحث الأول: أسماء العطور في كتاب البديع في وصف الربيع:

عني مؤلف الكتاب بالعطور في كتابه، وأشار إليها سواء أكان مصدرها حيوانيًا أم نباتيًا، وتعدد مواضع ذكرها، وأظهر آراء

الشعراء حولها، مبينًا جوانب التميز في العطر. وكان للعطر أثره في تشكيل الدلالة الشعرية عند الشاعر سواء أكانت مرتبطة بالمدح أم بالغزل أم كانت وصفًا لحالته الشعورية، وعلى هذا فالعطر ذو أثر بارز في مطلع القصيدة الشعرية، وتوجيه الغرض الشعري الذي يرمي إليه الشاعر.

وقد قسم المؤلف كتابه أقسامًا عدة، كل قسم فيه تضمن عطرًا أو نباتاً معينًا، وما يهمنا هنا هو المادة العطرية التي أوردها المؤلف في كتابه.

ويتجلى في كتاب "البديع في وصف الربيع " إبراز أنواع عدة من العطور، مختلفة الروائح، متنوعة الأوصاف، متباينة الخصائص، بالإضافة إلى حديث كل نبات عطري عن نفسه، واستعراض مميزاته، وإظهار تفوقه أمام النباتات العطرية الأخرى، ويدل ذلك على أثر حاسة الشم في تشكيل الخطاب الشعري المتضمن للعطور، وإدراك الشعراء بالقيمة المعنوية للمادة العطرية، ومعرفتهم خصائصها الدقيقة.

وتجدر الإشارة إلى أن هنالك بعض الألفاظ التي ذكرها المؤلف بمعنى الروائح الطيبة والزكية؛ فهي دالة على ذلك، دون تحديد دقيق لماهية العطر، وتفاصيله نحو: الطيب، العطر، الشذى، النفح، الأريج، النشر، العرف، العبير، كما تجلى في البحث الإشارة إلى كثير من النباتات العطرية التي تتضمن الروائح العطرية، وقد أدخلت في هذه الدراسة لتضمنها الروائح العطرية، ودخولها في مفهوم العطر لغة واصطلاحًا.

وقد تفطن القدماء إلى ملاءمة بعض العطور للرجال، ومناسبة بعضها للنساء، فقد قسم الطيب إلى ذكور الطيب وإلى إناثه. فـ "ذكور الطيب ما يصلح للرجال دون النساء نحو المسك والعنبر والعود والكافور والغالية والذريرة... وعرف هذا النوع بـ "ذكارة الطيب". والمؤنث طيب النساء، كالخلوق والزعفران ". (ابن منظور، 1995، مادة: ذكر). وفيما يلي أسماء العطور الواردة في كتاب المؤلف:

المسك:

وهو: "ضرب من الطيب، والمسك في طبعه حادّ لطيف ". (النويري، 2004، 12/ 9-10).

ويلحظ استخدام المسك بصورة متكررة في الخطاب الشعري بصورة عامة؛ للدلالة على روائح معينة، ويبدو أن الإشارة إليه في الخطاب الشعري من باب شهرة المسك في الأذهان، وغلبة صورته الزكية في المقامات العطرية؛ حتى غدا اسمًا دالًا على كل رائحة زكية. يقول أبو جعفر بن الأبار:

لا أيأسُ الآسَ هامي السكبِ مدرارُ فهو الوفي وكل النورِ غدارُ

كأنما ألبستهُ المزنُ خضر حلى لهـــا من المســكِ والكافـورُ أزرارُ

(الحميري، 1987، ص93).

يشير الشاعر إلى أهمية الآس العطري وقيمته أمام الزهور الأخرى، ويظهر إعجاب المزن به، حتى ألبسته اللباس الأخضر، والمسك والكافور العطريان جعلا أزارير لهذا اللباس؛ إعجابًا وتفضيلًا لهذا النبات العطري، فاجتمعت هنا صورتان مرتبطتان بالإحساس البصري (صورة اللباس الأخضر المزين) والإحساس الشمي (صورة الأزارير على شكل المسك والكافور). ويتجلى أثر النفي هنا (لا أياس) في عدم الشك واليأس من وفاء الآس من حيث كرمه بعطره الزاكي، وتعميم عدم الوفاء والغدر في النباتات العطرية الأخرى. ويظهر أن الروائح المشار إليها (الآس والمسك والكافور) نالت إعجاب الشاعر واهتمامه؛ ويتوقع أن الشاعر يحرص على استخدامها،

ويظهر فعالية التقارب اللفظي في الحروف بين (لا أيأس والآس) محدثًا ذلك لفت انتباه المتلقي، وحثه على معرفة الفرق الواضح بينهما.

العنبر/ العبير:

العنبر: من العطور و "طبع العنبر حارّ، وفيه شيء من يبس ". (النويري، 2004، 13/12). والعبير: "نوع من الطيب، وأشار بعضهم إلى أن العبير الزعفران " (ابن منظور، 1995، مادة: عبر). ومن شواهدهما في الكتاب قول أبي الحسن الفقيه مفضلا رائحة النسيم التي خالطتها روائح الطبيعة على رائحتي العبير والعنبر:

ونسيم فوحٍ ليسَ يبلغُ طيبَه عبقُ العبيرِ ولا دخانُ العنبرِ

(الحميري، 1987، ص119).

يظهر الشاعر هنا أثر رائحتي العبير والعنبر، ويفضل رائحة النسيم الذي تختلط فيه روائح الطبيعة عليهما، علمًا بأن النسيم يعد من الروائح اللطيفة المقبولة التي لا تسبب أثرًا سلبيًّا، وتخصيص الشاعر لهذين العطرين: العبير، العنبر دلالة على تميز رائحتيهما، وحظوتهما على مستوى الاجتماعي غالبًا، ويبدو أن ذوق الشاعر مائل إلى نوع واحد من الروائح العطرية، ومزاجه ينصرف إلى عدم تشارك العطور مع بعضها البعض، وهذا ما يبدو من خلال البيت. ويبرز أثر النفي هنا (ليس يبلغ طيبه) في الإخبار عن المبتدأ (ونسيم فوح)، وأن رائحتي العبير والعنبر –على الرغم من جمال رائحتيهما– لم يتفوقا على رائحة النسيم الجميلة.

النرجس:

"نبات له ورق شبيه بورق الكراث إلا أنه أدق منه، لونه أصفر، وهو طيب الرائحة ". (المالقي، 1992، 476/4). ومن شواهده قول أبي مروان عبد الملك بن جهور:

يا نرجسًا ظلَّ قدامي تنمُّ لهُ ريحٌ تذكّرني شوقي فأذكرهُ

(الحميري، 1987، ص129).

يبرز الشاعر أهمية منظر النرجس ورائحته في هذا الخطاب، ويؤكد على أن الرائحة العطرية التي تنشرها الريح، تسهم في استرجاع أشواقه وذكرياته الجميلة، وعلى هذا يدل البيت على أهمية الذاكرة الشمية لدى الشاعر في احتفاظ ما هو جميل. ويلحظ مخاطبة الشاعر للنرجس بياء النداء، ويبدو أن المخاطبة تعني ارتياح الشاعر للنرجس، وربط الأشواق بالرائحة التي تنتج من فوحان رائحة النرجس في حال مرور الهواء عليه.

الخيري:

"نبات له زهر مختلف بعضه أبيض وبعضه أصفر ". (الشهابي، 2003، ص127)، ويعرف بالعربية بالمنثور، ومن شواهده قول أبي علي إدريس بن اليماني:

أهلًا بسارٍ طيبه لا ساربُ أضحى هواهُ مضربًا بضرائبِ

يا ناجمَ الخيريّ جادكَ كل ذي ثغر لجيب الدجن فوقك جائب

(الحميري، 1987، ص115).

في هذا البيت تتجلى قيمة نبات الخيري في نفس الشاعر، وذلك من خلال الترحيب به؛ نظرًا لمكانة النبات العطري، ووصف عطره بالثبات فهو مختلف عن السراب، بالإضافة إلى فوحان النبات العطري في وقت المساء حيث الراحة والهدوء، ومن ثم غدت

تلك الصفات المتوافرة في العطر علامة يتميز بها. ويلحظ أيضا استفادة الشاعر من الجناس في لفت انتباه المتلقي سار/ سار واختلاف معنييهما، وتعلق المعنى الأول بالصورة الحركية التي تعنى فوحان العطر ليلًا حيث الراحة والهدوء والسكون، وارتباط الصورة الثانية بالصورة البصرية التي تعني عدم غياب أثر الرائحة العطرية هنا، فهي ليست سرابًا يذهب بعد الاقتراب منه، ما يدل على ثبات الرائحة العطرية، وفوحانها.

الأقحوان:

"البابونج وهو نبتٌ طيّبُ الريح حواليه ورقٌ أبيض، ووسطه أصفر ". (الجوهري، 1987، مادة: قحا)، ومن النصوص الدالة عليه قول أبي جعفر بن الأبار:

وبركة بالأقاحِ محدقة تخالُ ريحَ الصبا بها صبَّه

يحل فيها الحبابُ حبوته إذا جرتْ للصبا بها هبَّه

(الحميري، 1987، ص152).

تبرز في هذين البيتين صورتان مرتبطتان مع بعضهما البعض، وهما الصورة الشمية في فوحان الأقحوان، ومساهمة ريح الصبا التي تهب من الشرق في نشر طيبه، والصورة الحركية في تحريك الرياح نبات الأقحوان، وتفاعل بركة الماء بهذه الريح، وظهور الحباب إثر الحركة، وما يلفت النظر هنا تلهف ريح الصبا تحريك نبات الأقاح رغبة في شم رائحتها العطرية.

الزعفران:

الزَّعْفَرَانُ: "هذا الصِّبْغُ المعروف، وهو من الطِّيب ". (ابن منظور، 1995، مادة: زعفر). ويستخدم الزعفران في صنعة العطور. (المركز العربي لدراسات المناطق الجافة والأراضي، 2012، ص350).

ويصور الشاعر أبو القاسم البلمي طيب السواك بطعم الزعفران، ويفضله على منظر الأقحوان الذي يوضع في الذهب أو الفضة مبالغة في زيادة الإعجاب به، بالإضافة إلى الأثر النفسي الذي يسببه وجود هذا النبات العطري في معدن نفيس. ونجد أن هذا الأقحوان الذي يعطر فم المحبوبة، ويقربها ممن يهواها، يأتي بعد عود السواك بطعم الزعفران؛ إذ يتفوق عود السواك بالزعفران على عود الأقحوان قائلًا:

راقَ عيني منظر الأقحوانِ بنفيسِ اللجينِ والعقيانِ

كفه بالحبيبِ سوكُ فاهٍ بعدَ عودِ الأراكِ بالزعفرانِ

(الحميري، 1987، ص152).

شقائق النعمان:

"شَقائِقُ النعمان: نبْتٌ، واحدتها شَقيقةٌ، سميت بذلك لحمرتها على التشبيه بشَقِيقةِ البَرْق، وقيل: واحدهُ وجمعهُ سواء وإنما أُضيف إلى النعمان لأنه حَمَى أرضًا فكثر فيها ذلك ". (ابن منظور، 1995، مادة شقق). ومن شواهده قول أبي الحسن بن علي:

وكأنَّ السوادَ فيها غوالٍ بسطتْ في مداهنٍ من عقيقِ

أو نثيرٍ من طيبِ المسكِ محض صبَّ بالعمدِ في كؤوسِ الرحيقِ

(الحميري، 1987، ص155).

يبرز الشاعر هنا أهمية الصورتين البصرية (اللونية)، والصورة الشمية لشقائق النعمان؛ إذ يستعين الشاعر بأداة التشبيه إلى شدة سواد لون جزء يسير من هذا النبات، وكأنه نبات أو طيب الغالية، وأنه لا يعد دهنًا يلون الثياب، ويشير ابن منظور (1995) إلى ذلك بقوله: "وأما ذكور الطيب فما لا لون له كالغالية والكافور والمسك والعود والعنبر ونحوها من الأدهان التي لا تؤثر " (مادة: أنث). ويظهر أن الإشارة إلى وجود هذا النبات في العقيق لتبيين أهميته ونفاسته وأثره الواضح كأثر اقتناء العقيق الذي يعد من الأحجار الكريمة، وتبرز أيضا الصورة الشمية المتعلقة بتشبيه لون هذا النبات العطري بالمسك المنثور؛ لإظهار وإبراز انتشار رائحته العطرية التي وضعت في كؤوس الشراب طربًا وإعجابًا وارتياحًا لرائحة العطر هنا.

السوسن:

وهو "ثلاثة أصناف فمنه أبيض... ومنه البستاني وبري ". (المالقي، 1992، 56/3).

ويشير الشاعر أبو عمر أحمد بن فرج الجياني إلى طيب رائحة السوسن في حافظة العطر، ويظهر أن المقام هنا مقام إهداء السوسن الذي يتميز برائحته، ويشبه برائحة الخمر في كأس من الفضة للإشارة إلى أن رائحة السوسن بالنسبة له مرتبطة برائحة الخمر. وعلى هذا فإن رائحة السوسن ذات أثر كبير في نفس المتلقي؛ ولذلك فإن من أبرز مميزات الإهداء هنا الرائحة العطرية،

بعثتُ بسوسنٍ نضرٍ ينمُ كجونةِ العطرِ

كأكؤسِ فضةٍ فيها نفايا شهلة الخمرِ

(الحميري، 1987، ص133).

النيلوفر:

"النَّيْلَوفَرُ، ويُقالُ: النَّيْنَوْفَرُ: ضَرْبٌ من الرَّياحينِ يَنْبُتُ في المياهِ الرَّاكِدَةِ ". (الفيروزآبادي، 2005، مادة: نيلوفر). ومن شواهده قول ذي الوزارتين:

يا حسن بهجةِ ذا النيلوفرِ الأرجِ وطيب مخبرِهِ في الفوحِ والأرجِ

(الحميري، 1987، ص144).

يشير الشاعر هنا إلى جمال النيلوفر، ويبرز مواضع جماله في صورته البصرية الحسنة، وانتشار رائحته العطرة في المكان، فحرص الشاعر على جمال المظهر/ بهجة النيلوفر، وجمال المخبر/ انتشار رائحته أسهم في تكامل حسن هذا النبات العطري. وتبرز جمالية التصريع هنا في الشطر الأول (الأرج_ الأرج)؛ إذ تعد سببًا في لفت انتباه المتلقي، وجعل تركيزه ينصب حول الصورتين الشمية والبصرية).

الكباء:

"والكباء ممدود فهو البَخُور ". (ابن منظور، 1995، مادة: كبا). ومن الأبيات التي وصف فيها الكباء قول أبي بكر بن القوطية:

ما رأى العالمُ زمان الربيـ ـع الطلق قد نشر عرف الكبى

أجرى إلى غايتهِ مجهدًا فكـلـما رامَ لحـاقًا كبَـا

(الحميري، 1987، ص25).

يشير الشاعر إلى انتشار رائحة البخور في فصل الربيع، ويبدو من خلال هذا البيت أن الرائحة المميزة لا تدوم طويلًا، ويدل على ذلك التجنيس بين كبا وكبا؛ إذ لم يستطع الزمن لحاق فصل الربيع الذي نشر رائحة البخور.

البهار:

هو: "الأقحوان الأصفر عند بعض الناس ". (المالقي، 1992، 165/1.). وقال صاحب الكتاب الحميري (1987): "ويسمى البهار النرجس، وأكثر أشعار المشرقيين اسمه فيه النرجس، ومن شواهده قول أحمد بن هشام:

كلَّما فاحَ نشرُه قلت إلف في دجى الليلِ عاطر زار إلفا "

(ص ص، –100 100).

يصور الشاعر رائحة البهار/ النرجس العطرية المميزة، ويذكره فوحان رائحته بمشهد التقاء المحبين الذي تعطر أحدهما في الليل. وهذا التصوير العطري عن طريق الشرط(كلَّما) بمشهد التقاء المحبين في الليل يوحي بوجود الراحة والهدوء والتفاؤل والسكون الذي يوجد في رائحة البهار العطرية.

النمَّام:

قال الفيروزآبادي (2005): "النمام نبت طيب ". (مادة: ممم). ونقل ابن البيطار عن ديسقور أنه: "نبات بستاني في رائحته شيء من رائحة المرزنجوش " (المالقي، 1992، 482/4). ومن شواهده قول أبي مروان المرادي:

ينم مع الإظلامِ طيبُ نسيمهِ ويخفى لدى الإصباحِ كالمتسترِ

كعاطرةٍ ليلًا لوعدٍ محبها وكاتمة صبحا نسيم التعطرِ

(الحميري، 1987، ص113)

يشبه الشاعر نبات النمام العطري بالمحبوبة التي لا تظهر إلا في الليل للقاء محبها، وتختفي في النهار، وهذا من خصائص عطر النمام الذي لا يفوح إلا في وقت الليل، ويختفي في النهار، وتشبيه الشاعر إياه بالمحبوبة إشارة إلى أثر رائحة النمام العطر في نفس الشاعر.

الياسمين:

هو "نبات له عصي طوال مخرجها من أصل واحد ثم تتفرع إلى فروع ولها ساق فيها ورق شبيه بورق الخيزران إلا أن هذا ألين وأشد خضرة وله نور أبيض ذو أربع شرفات طيب الرائحة ويكون منه أصفر وزعم قوم أن يكون منه أزرق ". (المالقي، 11992، 509/4). ومن شواهده قول أبي الأصبغ:

و ياسمينُ بعر شهِ أ شر فْ عرَّفه العَرفُ قبلَ أن يعرفْ

تكاملَ الطيبُ والجمالُ لهُ فهو منْ الفضلِ فوقَ أن يوصفْ

(الحميري، 1987، ص96).

يبرز الشاعر أهمية الياسمين بالنسبة له، ويصوره بأنه يحتل المكانة الأولى من بين النباتات؛ لتميزه من جهة الشكل وطيب الرائحة التي تجعل الجاهلين به يعرفون رائحته.

البنفسج:

وصف هذا النبات بأنه "طيب الرائحة". (المالقي، 1992، 156/1). ويستخدم في صناعة العطور. (المركز العربي لدراسات المناطق الجافة والآراضي، ص ص555–556). ومن الأبيات الدالة عليه قول أبي الأصبغ:

وبنفسج أربى على النوارِ | وأفادنا عطرًا بلا عطارِ

(الحميري، 1987، ص109).

يفضل الشاعر هنا البنفسج، ويبرز مزية من مزاياه؛ إذ لا يحتاج أن تذهب إلى صاحب العطار؛ فتسأله عن العطورات، فرائحة البنفسج مميزة ومقبولة عند الشاعر. ويلحظ هنا وقوع (البنفسج) موقع المبتدأ، وجملة (أربى على النوار) موقع الخبر، ودل الخبر على الإخبار بتفوق البنفسج على جميع النواوير، ومن ضمن الأسباب التي أدت إلى بروزه وتفوقه جمال رائحته العطرية التي لا تتطلب السؤال عن مميزاتها عند صاحب العطارة.

الآس:

أورد ابن البيطار في كتابه نقلًا عن أبي حنيفة: "هو كثير بأرض العرب، بالسهل والجبل، وخضرته دائمة، ويسمو حتى يكون شجرًا عظيمًا، وله زهرة بيضاء طيبة الرائحة ". (المالقي، 1992، 37/1). وقد أوردت سابقًا شاهدين على رائحة الآس العطرية في هذا البحث.

المبحث الثاني: الدلالات الرمزية للعطر:

أسهمت العطور في تكوين رمزية متوارية في الأشعار الواردة في كتاب "البديع في وصف الربيع "، وإضفاء دلالات إيحائية تتسم بأبعاد سيميائية ذات ارتباط وثيق بالعلاقات الثقافية والأيديولوجية، وعلى كل حال فالعطر لم يعدم أثره في الخطاب الشعري، ولم يكن زينة أو محسنًا، بل تجاوزت دلالاته إلى توليد ما لا يمكن كشفه إلا بمعرفة سياقاته المختلفة، وقد كان للأغراض الشعرية، ومقاماتها المتباينة التي جاء فيها الخطاب العطري الأثر البارز في إيضاح رمزية العطر المشموم، وقبل ذلك كله إلى معرفة ما يتضمنه العطر من خصائص أشار إليها المؤلفون، أو عن طريق شم العطر نفسه أو استرجاع الذاكرة الشمية إن صح القول للعطر، ومعرفة مزاياه.

وتعد دراسة العطور في النص الشعري من قبيل دراسة التواصل الثقافي والاجتماعي والنفسي؛ لكونه يحمل دلالات ذات أبعاد مرتكزة على الاستحضار الحسي والذهني عند المرسل والمتلقي.

"والعلامة الشمية مهمة في بعض أنماط التواصل الإنساني ". (توسان، 2000، ص23). ونجد العلامة الشمية حاضرة في العطور مثلًا.

وليس المقام هنا مقام عرض لخصائص العطور الدقيقة، وتفصيل استعمالها، ومدى مناسبتها للرجل أو المرآة، فليس البحث متعلقًا بذلك؛ إنما المهم عرض ما يولده العطر من دلالات رمزية، وعلامات سيميائية، وإشارات مستترة في الخطاب الشعري الخاص بالعطور، علمًا بأنه يبدو أن هنالك تقاربا بين استعمال العطر على وجه الحقيقة، والإشارة إليه في الخطاب الشعري المدروس، وذلك أن الشاعر حين إيراده العطر يفترض أن يكون مدركًا أثر العطر في نفسه ومزاجه، وعارفًا تفاصيله بعد شمه، ثم ينعكس ذلك على الشاعر في خطابه الشعري. ويمكن تقسيم الأغراض الشعرية التي جاء فيها الخطاب العطري في الأشعار المتناثرة في الكتاب الذي يعنى به هذا البحث، وهي: المدح، والغزل، والوصف وغيرها. وفيما يلي الدلالات التي ظهرت في الشواهد الشعرية:

دلالة الراحة والهدوء والسكينة

تعد دلالة الراحة والهدوء من الدلالات التي أفضى بها التحليل السيميائي للشواهد الشعرية للروائح والعطور في كتاب البديع في

وصف الربيع، ومن هذه الشواهد قول أبي عبدالله بن مسعود:

الآسُ آسٍ لأسى كل فؤاد مـكتئـبْ

إذا سرى منهُ الشَّذا في آخرِ الليلِ وهبْ

(الحميري، 1987، ص90).

يتجلى في هذين البيتين أثر الخطاب العطري للآس الذي يعد أحد أنواع الريحان؛ إذ لا تنتشر رائحته إلا في وقت سكون الناس وهدوئهم في وقت السُرى الذي لا يكون إلا في الليل، بالإضافة إلى فعاليته الطبية_ في نظر الشاعر_ في شفاء من أصيب بالاكتئاب، فهو باعث ومحفز لتعزيز طمأنينة الناس وراحتهم، ومن الجدير ذكره أن الشاعر لم يشر هنا إلى المفعول به للفعل (وهب) جاعلًا المتلقي يؤول المفعول المحذوف، الذي يتمحور حول الشفاء والراحة وهدوء البال؛ إذ التقدير: في آخر الليل وهب الهدوء والراحة، وهذا ما أظهره سياق البيتين. وأنشد الفقيه أبو الحسن بن علي:

ألا حبذا المحبوب نور البنفسجِ وأحببْ بمرآهِ البديع وأبهجِ

حياة وروحٌ للعليلِ نسيمه ومنظره أنس المتيمِ والشجيِ

(الحميري، 1987، ص110).

في هذا النص استعان الشاعر بالبنفسج، ووظفه توظيفًا يعبر عن مضمون سيميائي بعد أن قدم هذه الأبيات إلى ممدوحه، وكما هو معلوم بأن البنفسج من خصائصه فوحان نشره وطيبه وعطره في فترة المساء؛ فحينئذ يرمز هذا العطر سيميائيًّا في هذا البيت الشعري إلى معنى الراحة والهدوء والسكينة التي يقدمها العطر للمحبوبة في المساء. ويقول أبو الأصبغ:

الفضلُ للخيري إلا أنهمْ جهلوا ولما يحسنوا التأويلَا

قهر البنفسجَ منظرًا ويفوقهُ في الشمّ بالمسكِ الذكي دليلَا

ورأى التستر بالنسيمِ لصبحهِ ظرفًا فعطل صبحهِ تعطيلَا

وإذا أتى الليلُ البهيمُ بنشرهِ أبدى بهِ للزائرينَ قبولَا

(الحميري، 1987، ص83).

في هذا النص نجد أن الشاعر يفضل رائحة الخيري على البنفسج، وكلاهما نباتان عطريان، ويشير إلى سر تميز رائحة الخيري، وهي قوة رائحة العطرية، بالإضافة إلى أنه لا يتجلى إلا في فترة المساء، حيث الهدوء والسكينة والطمأنينة، وفترة المساء هي فترة في نظر الشاعر مناسبة للالتقاء بين المحبوب ومحبوبته، وذكر ألفاظًا دالة على المحبوبة، وشيئًا من لوازم اللقاء نحو: (التستر، الليل البهيم، ظرفًا) وما هذا يعززه ذلك العطر.

دلالة الطرب والنشوة واللاشعور

تجلت في شواهد المؤلف بعض الدلالات الرمزية المرتبطة بالطرب والاهتزاز واللاشعور، ومن النصوص التي تدل على ذلك قول

أبي بكر بن القوطية:

ويزينه نيلوفرٌ أوراقُهُ ورقٌ جرى من فوقِ أخضرَ أملسِ

فإذا سرت أنفاسُها لك أبرأت بلطيفِ رياها عليل الأنفسِ

الوردُ والسوسانُ والنيلوفرُ ال أرج المشم محركي وموسوسي

(الحميري، 1987، ص42).

يشير الشاعر في البيتين الأولين إلى جمال منظر النيلوفر الذي ينبت فوق الأوراق الخضراء، ويبين أيضًا أن لرائحته المميزة أثرًا في شفاء المريض، فرمزية هذا العطر تتضح من خلال بعثه الراحة والصحة ومد الطاقة، والحيوية، والإقبال على الحياة، والتفاؤل. وينتقل الشاعر إلى وصف رائحة الورد والسوسن والنيلوفر المميزة المنتشرة؛ حيث أسهمت في وسواس الشاعر من شدة فوحانها، فهي تحرك الشاعر وتسبب له اضطرابًا، ومع ذلك فهو يرى أنها من العناصر التي تسهم في عمران وإحياء مكان جلوسه، وعلى هذا تتجلى سيميائية هذه العطور المشار إليها في النشوة والطرب والاهتزاز التي تؤدي في نهاية الأمر إلى الارتياح والانشراح. ويقول أبو عمر القسطلي مادحًا المظفر بن أبي عامر:

دعيت فأصغِ لداعي الطربْ وطاب لك الدهرُ فاشربْ وطبْ

وهذا بشيرُ الربيعِ الجديدِ يبشرنا أنَّه قدْ قربْ

بهار يروقُ بمسكٍ ذكيّ وصنع بديعٍ وخلق عجبْ

(الحميري، 1987، ص ص103–104).

يبين الشاعر أهمية شعور الطرب الذي يشعر فيه، ويوضح أن ذلك الشعور جاء من أشياء عدة، ومنها: قدوم فصل الربيع، وفوحان رائحة البهار مع المسك الذائع، بالإضافة إلى الشرب، والخلق البديع بصورة عامة، وأسهم ذلك في غياب الشاعر عن وعيه، وطربه بما أشار إليه، وعلى هذا يدل العطر هنا على أنه من لوازم بهجة الشاعر، وحسن مزاجه، وأن وجود يعد أمرًا مهمًا.

دلالة الأنوثة والحب

تضمنت الشواهد الشعرية المرتبطة بالروائح في كتاب المؤلف بعض الدلالات المتعلقة بالمشاعر والحب للمحبوبة، وكانت العطور مكانًا ملائمًا لوجود هذه الدلالات التي تعزز مضامينها، وتسهم في قوة الترابط، ومن الشواهد الدالة على ذلك قول الفقيه أبي الحسن بن علي:

ونواره كالعقدِ في صدرِ غيدٍ لمختلسٍ سهو الرقيبِ ومدلجِ

وحمر اليواقيتِ الوضاءِ وصفرها تألقتا في لونِه المتضـرجِ

(الحميري، 1987، ص110).

يستهل الشاعر أبياته بالإشارة إلى المحبوبة، وربطها بتفتح ومنظر (البنفسج)؛ فهي تذكره بها، وعلى هذا كانت رائحته التي تساعد على الهدوء وتخفيف التوتر، وشفاء المريض دالة على الأنوثة، فهذه الرائحة علامة على محبوبة الشاعر التي تتصف بصفات الرائحة الزكية، ونجد عددًا من الإشارات على ذلك في هذا النص نحو: (العقد، الغيد). ويقول أبو الحسن المصحفي:

وربَّ سوسنةٍ قبلتُها كلفًا ومالها غير نشرِ المسكِ منشوقِ

مصفرة الوسطِ مبيضٌ جوانبُها كأنها عاشقٌ في حجرِ معشوقِ

(الحميري، 1987، ص135).

يثني الشاعر هنا على نبات السوسن العطري منها رائحتها العطرية المميزة ويشير إلى تقبيله هذا النبات سيبعث ويؤدي إلى انتشار العطر؛ دلالة على أن هذا السوسن يرمز إلى المرأة المحبوبة، وأن انتشار العطر هنا يرمز إلى معاني الحب والعشق والود لهذه المحبوبة، ويشير الشاعر إلى عدد من الألفاظ الدالة على معاني الحب للمحبوبة نحو: قبلتها، كلفًا، معشوق). ونلحظ أن الصورة البصرية اللونية أسهمت في إبراز هذا المعنى، فهو يرمز باللون الأبيض الدال على نقاء وصفاء المحبوبة.

دلالة الذوق والأناقة والجاذبية

ظهرت دلالة التأنق والتجمّل في باطن النصوص الشعرية المرتبطة بالروائح والعطور، ومن ذلك قول ابن دراج القسطلي:

إن كانَ وجهُ الربيعِ مبتسمًا فالسوسنُ المجتلى ثناياهُ

يا حسنهُ سن ضاحكٍ عبقٍ بطيبِ ريا الحبيب رياهُ

خافَ عليهِ الحسود عاشقه فاشتقَ من ضده فسماهُ

وهـو إذا مغرم تنسمَهُ خلى على الأنفِ منه سيماهُ

كما يخلي الحبيبُ غاليةً في عارضي إلفه لذكراهُ

(الحميري، 1987، ص136).

يصور الشاعر الربيع تصويرًا مبتكرًا طريفًا، فيشبهه بوجه الحبيب حال ابتسامته، ما يدعو إلى الإعجاب، والارتياح له، ويشير أيضًا بأن نبات السوسن الذي تتلون أزهاره باللون الأبيض أو البنفسجي يعد أسنانًا لوجه الربيع، وتتجلى أثر الصورة الشمية هنا في طيب رائحة السن هنا؛ إذ تفوح منه رائحة السوسن الزكية ما يزيد في حسن الحبيب وأناقته، ونجد تأكيدًا من الشاعر في حالة شم رائحة السوسن، بأن ذلك سيكون دالًا على وده وحبه، وسيتضح أثر ذلك الشم على أنفه، بمعنى أنه سيرسخ ذلك الأثر، وعلى هذا تتجلى سيميائية العطر هنا في جاذبية العطر، وكونه عاملًا مهمًا للتآلف والود، وعلامة على احتفاظه بالذكرى. ويقول أبو الحسن بن علي:

وعرف ذكيّ يقصرُ المسكُ دونهُ ولا يبلغُ الكافورُ طيبَ شميمِه

يساجلُ آفاقَ السماءِ بروضةٍ وأنجمها حسن بصفر نجومِه

(الحميري، 1987، ص86).

في هذا النص يفضل فيه الشاعر هذا النبات العطري_ وهو الأصفر الخيري_ على نبات النمام، ويشير أيضًا أثناء حديثه ومعرض وصفه إلى أن هذا العطر يتفوق على عدد من العطور ومنها: المسك الذي يعد من العطور المميزة القديمة والمناسبة لكثير من طبقات المجتمع، فهو من أطيب العطور ومع ذلك نجد أن هذا المسك لا يبلغ مستوى هذا العطر الذي أشار إليه الشاعر، ثم يشير إلى الكافور الذي يتميز بقوة رائحته العطرية لا يصل إلى مستوى هذا رائحة الخيري، فالعلامة السيمائية التي يمكن أن نستنطقها ونستنبطها من هذا النص؛ إذ لم يصرح بها الشاعر، وهي مناسبة هذا العطر وملاءمته لكثير من طبقات المجتمع، وجاذبيته، وشدة فوحانه.

دلالة السخاء والعطاء:

تعد دلالة عطاء العطر والرائحة الزكية بصورة عامة من الدلالات التي تضمنتها النصوص الشعرية في كتاب المؤلف، ومن ذلك قول الوزير الكاتب أبي الأصبغ بن عبد العزيز:

فضائل الظيان معروفةٌ ترقوق في المنظرِ والمخبرِ
فاقَ النواويرَ معَ أنَّه منزه يأوي إلى البرِ
وأنَّه يأنفُ أن يقتنى على سبيل الملك والقسرِ
فآثرَ الصحراءَ مستأنسًا في ليلهِ بالأنجمِ الزهرِ
متى تزرهُ تلقَ من عرفِه ما شئت من طيبٍ ومن عطرِ

(الحميري، ١٩٨٧، ص٩٨).

يظهر الشاعر مزايا نبات الظيان الذي يسمى بالياسمين البري. (الإشبيلي، ٢٠٠٥)، ويوظف الشاعر الصحراء لصالح هذا النبات البري، ويشير إلى رمزية الشخص البدوي الذي يتسم بالأنفة، والذهاب إلى الصحراء، والسكن فيها، والاطلاع على الأنجم في المساء، بالإضافة إلى عطائه، وكأنه يعادل موضوعيًا الشخص البدوي الكريم، وعلى هذا تتبين العلامة السيميائية من خلال عطاء وسخاء وإغداق الياسمين بالعطر على سبيل الكرم مقابل راحة من يتوجه بالزيارة إليه في الصحراء. ويقول أبو عامر بن مسلمة:

أصفرُ الخيري عندي أرفعُ الخيري قدرَا
فهو لا يمنع عرفًا وهو لا يحميكَ عطرَا
مثلُ لونِ الذهبِ الخا لصِ لكنْ فاقَ نشرَا

(الحميري، 1987، ص110).

نجد هنا تفضيلًا للخيري الأصفر، ويشير الشاعر الى عدد من صفاته، ويقارن بين هذا النبات العطري وبين عدد من الأشياء النفيسة؛ فهو يبين أنه كريم بعطائه/ فهو يعطي الرائحة العاطرة الزكية دون أن يطلبها أحد، لذلك فهو متقارب مع الذهب لونًا، ولكن المختلف بينهما أنه أطيب رائحة، بل هو يتميز برائحته التي لا تجدها في الذهب بطبيعة الحال؛ ولذلك ينتشر عطره الزاكي، ويمكن استظهار العلامة السيميائية هنا الى العطاء والتفوق لهذا العطر، بالإضافة الى انتشار رائحته، وذلك من خلال كرمه بإعطاء الرائحة؛ فرائحته منتشرة في المكان الذي يوجد فيه فهو بمثابة الكريم الذي يعطي دون سؤال.

الخاتمة:

الحمد لله الذي يسر لي إتمام البحث، وأعانني على كتابته، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فقد خلص البحث الذي تناول جانبًا مهمًا متعلقًا بالعطور في الأندلس، وتوظيفها في أشعارهم، وتفسير رمزية العطور الذي تضمره النصوص الشعرية في كتاب "البديع في وصف الربيع "، إلى عدد من النتائج المهمة، وهي:

1_ اعتناء الأندلسيين بالعطور في حياتهم بعامة، وانعكاس ذلك على خطابهم الأدبي شعرًا كان أو نثرًا.

2_ تنوع النباتات العطرية في كتاب البديع في وصف الربيع، وإثراء كتابه بما هو مشموم.

3_ تميز الحاسة الشمية لدى الشعراء في الأندلس الذين أشار إليهم المؤلف في كتابه.

4_ براعة مؤلف الكتاب في اختياره لمختاراته العطرية تأكيد على اختياره الدقيق للعطر، ودلالة على انتقائه الدقيق للعديد من النباتات العطرية التي تؤثر في الخطاب الشعري.

5_ رمزية العطور المذكورة في الكتاب، وتعدد علاماتها، فمنها ما يشير إلى الراحة والهدوء والسكينة، ومنها ما يتجلى فيها علامة الطرب والنشوة واللاشعور، ومنها ما يشير إلى معنى الأنوثة والحب والتقرب من المحبوبة، ومنها ما يرمز إلى الجاذبية والأناقة، ومنها ما يرمز إلى السخاء والكرم.

6_ إسهام العطور في تشكيل المعنى الشعري عند الشاعر، وتوسيع خياله، وإثراء مدلول البيت الشعري، وأثرها البارز في تكوين صورته الشعرية.

7_أسهمت العطور في انزياحية الخطاب الشعري الذي تضمنته، وكانت سببًا من الجمالية فيه، والخروج عن المألوف من حيث استنطاق العطور، وحديثها عن نفسها، وإظهار ما تحتويه من مميزات، بالإضافة إلى الاستفادة من التقنيات الأسلوبية في انزياحية الخطاب العطري كالنداء، والتقديم والتأخير، والنفي، والاستفهام، وغيرها.

8_ تباين حضور الروائح العطرية في مدونة الشاعر، واختلاف ورودها في مدونة المؤلف من حيث الكم؛ إذ تعددت شواهد:(البنفسج، المسك، الخيري، النرجس، الياسمين وغيرها) وقلة شواهد (شقائق النعمان، الكباء السوسن). ولعل السبب في ذلك الاختلاف عائد إلى سهولة الوصول إلى هذه الروائح، وتوافرها في الأندلس، بالإضافة إلى نيل رائحتها إعجاب الشعراء، وقربها من أذواقهم.

وأوصي الباحثين والدارسين بضرورة البحث في مناجم الإبداع في الأدب الأندلسي؛ وبخاصة ما يتصل بالحياة الاجتماعية الأندلسية، وحديث الأدباء عنها، وما يتعلق أيضا بلغة الجسد التي تحمل عددًا من الإشارات الرمزية، والأيقونات العلاماتية نحو إشارات الجسد المختلفة.

وحسبي أني حاولت طرق موضوع طريف، واستكناه بعض ما أنتجه الأدباء الأندلسيون من إبداع أدبي مميز.

المراجع:

إسماعيل، وفاء. (2009). البديع في وصف الربيع لأبي الوليد الحميري دراسة موضوعية فنية، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، *2*(25)، 433–546.

الإشبيلي، أبو بكر. (2005). *معرفة الفرق بين الضاد والظاء*. (ط1). دمشق: دار نينوى.

البكر، فهد. (2019). التواصل بالروائح والعطور في الخطاب الأدبي، مقاربة تداولية لكتاب (الثعالبي من غاب عنه المطرب). *مجلة علوم اللغات وآدابها بجامعة المجمعة*، (24)، 369–397.

توسان، برنار. (2000). *ما هي السيميولوجيا*. (ترجمة نظيف محمد). (ط2). بيروت – الدار البيضاء: إفريقيا الشرق.

الجوهري، إسماعيل. (1987). *الصحاح في اللغة*. تحقيق أحمد عبدالغفور عطار. (ط4). بيروت: دار العلم للملايين.

جيرو، بييرو. (1984). *السيميائيات: دراسة الأنساق السيميائية غير اللغوية*. (ترجمة منذر عياشي). (ط١). دار دمشق: دار نينوى.

الحموي، ياقوت. (1995). *معجم البلدان*. تحقيق إحسان عباس. (ط2). بيروت: دار صادر.

الحميدي، محمد. (1966). *جذوة المقتبس في ذكر وُلاة الأندلس*. تحقيق إبراهيم الأبياري. القاهرة: الدار المصرية للتأليف والنشر.

الحميري، إسماعيل. (1987). *البديع في وصف الربيع*. تحقيق عبدالله عسيلان. (ط1). جدة: دار المدني.

خبراء المجموعة العربية للتدريب والتعلم. (2012). *التواصل اللفظي وغير اللفظي*. القاهرة: المجموعة العربية للتدريب والنشر.

الدهون، إبراهيم. (2022). الطيوب والعطور في الشعر العباسي. *مجلة العلوم العربية والإنسانية جامعة القصيم*، *15*(3)، 1085–1141.

الشهابي، مصطفى. (2003). *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*. (ط5). بيروت: مكتبة لبنان.

الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب. (2005). *القاموس المحيط*. تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة. (ط8). بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.

القزويني، زكريا. (د.ت). *آثار البلاد وأخبار العباد*. بيروت: دار صادر.

المالقي، ابن البيطار. (1992). *الجامع في مفردات الأدوية والأغذية*. (ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.

مجموعة من المؤلفين. (2010). *الموسوعة العربية الميسرة*. (ط1). بيروت: المكتبة العصرية.

المركز العربي لدراسات المناطق الجافة والأراضي. (2012). دمشق: أطلس النباتات الطبية والعطرية في الوطن العربي.

المقري، أحمد. (1997). *نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب*. تحقيق إحسان عباس. (ط1). بيروت: دار صادر.

ابن منظور، محمد بن مكرم. (1995). *لسان العرب*. تحقيق عبدالله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي. القاهرة: دار المعارف.

النويري، أحمد. (2004). *نهاية الأرب في فنون الأدب*. تحقيق مفيد قميحة. (ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.

Arabic References:

Ismā‘īl, Wafā’. (2009). al-Badī‘ fī waṣf al-Rabī‘ li-Abī al-Walīd al-Ḥimyarī dirāsah mawḍū‘īyah fannīyah, Majallat Kullīyat al-Dirāsāt al-Islāmīyah wa-al-‘Arabīyah lil-Banāt bi-al-Iskandarīyah, 2 (25), 433-546.

al-Ishbīlī, Abū Bakr. (2005). ma‘rifat al-firaq bayna al-ḍād wa-al-ẓā’. (Ṭ1). Dimashq: Dār Nīnawá.

al-Bakr, Fahd. (2019). al-tawāṣul bālrwā’ḥ wāl‘ṭwr fī al-khiṭāb al-Adabī, muqārabah tadāwulīyah li-kitāb (al-Tha‘ālibī min Ghāba ‘anhu al-Muṭrib). Majallat ‘ulūm al-lughāt wa-ādābihā bi-Jāmi‘at al-Majma‘ah, (24), 369-397.

Twsān, brnār. (2000). mā hiya al-Sīmiyūlūjīyā. (tarjamat Naẓīf Muḥammad). (ṭ2). Bayrūt-al-Dār al-Bayḍā’: Ifrīqiyā al-Sharq.

al-Jawharī, Ismā‘īl. (1987). al-ṣiḥāḥ fī al-lughah. taḥqīq Aḥmad ‘bdālghfwr ‘Aṭṭār. (ṭ4). Bayrūt: Dār al-‘Ilm lil-Malāyīn.

Jyrw, Pierre. (1984). al-sīmiyā’īyāt: dirāsah al-ansāq alsymyā’yh ghayr al-lughawīyah. (tarjamat Mundhir ‘Ayyāshī). (ṭ1). Dār Dimashq: Dār Nīnawá.

al-Ḥamawī, Yāqūt. (1995). Mu‘jam al-buldān. taḥqīq Iḥsān ‘Abbās. (ṭ2). Bayrūt: Dār Ṣādir.

al-Ḥumaydī, Muḥammad. (1966). Judhwat al-Muqtabas fī dhikr wulāh al-Andalus. taḥqīq Ibrāhīm al-Abyārī. al-Qāhirah: al-Dār al-Miṣrīyah lil-Ta’līf wa-al-Nashr.

al-Ḥimyarī, Ismā‘īl. (1987). al-Badī‘ fī waṣf al-Rabī‘. taḥqīq Allāh ‘Usaylān. (Ṭ1). Jiddah: Dār al-madanī.

Khubarā’ al-Majmū‘ah al-‘Arabīyah lil-Tadrīb wa-al-ta‘allum. (2012). al-tawāṣul al-lafẓī wa-ghayr al-lafẓī. al-Qāhirah: al-Majmū‘ah al-‘Arabīyah lil-Tadrīb wa-al-Nashr.

Aldhwn, Ibrāhīm. (2022). al-ṭuyūb wāl‘ṭwr fī al-shi‘r al-‘Abbāsī. Majallat al-‘Ulūm al-‘Arabīyah wa-al-insānīyah Jāmi‘at al-Qaṣīm, 15 (3), 1085-1141.

al-Shihābī, Muṣṭafá. (2003). Mu‘jam al-Shihābī fī muṣṭalaḥāt al-‘Ulūm al-zirā‘īyah. (ṭ5). Bayrūt: Maktabat Lubnān.

al-Fīrūzābādī, Muḥammad ibn Ya‘qūb. (2005). al-Qāmūs al-muḥīṭ. taḥqīq Maktab taḥqīq al-Turāth fī Mu’assasat al-Risālah. (ṭ8). Bayrūt: Mu’assasat al-Risālah lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr wa-al-Tawzī‘.

al-Qazwīnī, Zakarīyā. (D. t). Āthār al-bilād wa-akhbār al-‘ibād. Bayrūt: Dār Ṣādir.

al-Māliqī, Ibn al-Bayṭār. (1992). al-Jāmi‘ fī mufradāt al-adwīyah wa-al-aghdhiyah. (Ṭ1). Bayrūt: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah.

Majmū‘ah min al-mu’allifīn. (2010). al-Mawsū‘ah al-‘Arabīyah al-muyassarah. (Ṭ1). Bayrūt: al-Maktabah al-‘Aṣrīyah.

al-Markaz al-‘Arabī li-Dirāsāt al-manāṭiq al-jāffah wāl’ārāḍy. (2012). Dimashq. Aṭlas al-nabātāt al-ṭibbīyah wa-al-‘iṭrīyah fī al-waṭan al-‘Arabī.

al-Muqrī, Aḥmad. (1997). Nafḥ al-Ṭayyib min Ghuṣn al-Andalus al-raṭīb. taḥqīq Iḥsān ‘Abbās. (Ṭ1). Bayrūt: Dār Ṣādir.

Ibn manẓūr, Muḥammad ibn Mukarram. (1995 (. Lisān al-‘Arab. taḥqīq Allāh ‘Alī al-kabīr wa-Muḥammad Aḥmad Ḥasab Allāh wa-Hāshim Muḥammad al-Shādhilī. al-Qāhirah: Dār al-Ma‘ārif.

al-Nuwayrī, Aḥmad. (2004). nihāyat al-arab fī Funūn al-adab. taḥqīq Mufīd Qumayḥah. (Ṭ1). Bayrūt: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah.

معلومات عن الباحث	**Biographical Statement**
د. سعد بن حسن العاطفي، أستاذ الأدب والنقد المساعد في قسم اللغة العربية، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، في جامعة طيبة، (المملكة العربية السعودية) حاصل على درجة الدكتوراة في الأدب من جامعة الإمام محمد بن سعود عام ١٤٤٢هـ تدور اهتماماته البحثية حول قضايا الأدب والنقد.	Dr. Saad Hassan alatifi Assistant Professor of Literature and Criticism in the Department of Arabic Language, College of Arts and Humanities, at Taibah University, (Kingdom of Saudi Arabia). He holds a doctorate in literature from Imam Muhammad bin Saud University in 1442 AH. His research interests revolve around issues of literature and criticism.

Email: Salatifi87@gmail.com